محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية

أ. فدوى إبراهيم ثابت*

*محاضر بكلية الآداب والعلوم قمينس- جامعة بنغازي

ملخص

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير من اصطفى وأرسل ، بلسان عربي معجز مبين وبعد
فهذا ملخص لدراسة بعنوان :
(محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية)
أهداف الدراسة:
ترصد الدراسة المحاولات الجادّة التي قام بها النقاد المحدثون للتقريب بين البلاغة والأسلوبية، مما يُنتج البلاغة في صورتها الجديدة التي طمح النقاد في العصر الحديث إليها؛ لتكون بديلا عن الأسلوبية الغربية؛ وعلما مضا هيا لها ذا مرجعية عربية، و منهجاً صالحا لمقاربة النصوص الأدبية العربية.
مشكلة البحث :
يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الآتية
-متى بدأت محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية ؟
-علام ارتكزت تلك المحاولات؟
-ما نتائج تلك المحاولات؟
الدراسات السابقة:
كثيرة ومتنوعة أذكر منها :
-البلاغة والأسلوبية ،محمد عبد المطلب .
-البلاغة الجديدة ،محمد العمري.
-اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،مصطفى ناصف.
-البلاغة والأسلوبية ، يوسف أبو العدوس.
و غيرها كثير.
هيكل الدراسة:
جاءت الدراسة في خمسة مطالب هذا بيانها :
التمهيد : وفيه عرض للدعوات الأولى للتجديد في الدرس البلاغي .
المطلب الأول : محاولة عبد السلام المسدي.
المطلب الثاني : محاولة تمام حسان.
المطلب الثالث : محاولة حمادي صمود .
المطلب الرابع : محاولتا شكري عياد ومحمد عبد المطلب.
المطلب الخامس : محاولة محمد العمري.
ثم خاتمة جملت نتائج الدراسة لحقتها قائمة بمصادر الدراسة ومراجعها .
واتبعت الدراسة المنهج الوصفي المقارن.
الكلمات المفتاحية :الجديدة، الحديثة، الاتفاق الاختلاف ،علم الأسلوب ،علم النص.

Attempts to bring rhetoric and stylistics closer together

Ms. Fadwa Ibrahim Thabet *

* Lecturer in Faculty of Arts and Sciences - Qemnes -University of Benghazi

Summary

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful, and peace and blessings be upon the best of those chosen and sent, with an eloquent and miraculous Arabic tongue.

This is a summary of a study titled:

"Attempts to Bridge Rhetoric and Stylistics"

Study Objectives:

The study examines the serious attempts made by modern critics to bridge the gap between rhetoric and stylistics. These efforts aim to present rhetoric in its renewed form, envisioned by contemporary critics as an alternative to Western stylistics and as an equivalent science with an Arabic reference, providing a suitable methodology for analyzing Arabic literary texts.

Research Problem:

-The research problem can be framed in the following question:

-Can the new rhetoric, as defined by modern Arab researchers and critics, replace stylistics?

Previous Studies:

There are numerous previous studies, including:

-"Rhetoric and Stylistics" by Mohammed Abdel-Muttalib.

-"New Rhetoric" by Mohammed Al-Omari.

-"Language Between Rhetoric and Stylistics" by Mustafa Nassif.

-"Rhetoric and Stylistics" by Youssef Abu Al-Adous.

-And many others.

Study Structure:

The study is organized into five main sections:

-Introduction: An overview of the initial calls for renewal in rhetorical studies.

-First Section: The attempt of Abdel Salam Al-Masdi.

-Second Section: The attempt of Tammam Hassan.

-Third Section: The attempt of Hammadi Sammoud.

-Fourth Section: The attempts of Shukri Ayad and Mohammed Abdel-Muttalib.

-Fifth Section: The attempt of Mohammed Al-Omari.

-The study concludes with a summary of the findings, followed by a list of sources and references.

-The study adopted the descriptive comparative approach.

Keywords: new, modern, agreement and difference, Stylistics ,text science

محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية

تمهيد

تتوقف الدراسة عند المحاولات المبكرة المبدئية التي تنبهت إلى قصور البلاغة العربية القديمة عن الإحاطة بالنص الأدبي من جميع جوانبه.

فبعد أن تكاملت البلاغة على يد السكاكي وشرّاح المفتاح تلخيصا وتوضيحا وإضافة وتنظيما ،فبلغت شأنا لا يستهان به وظلت المثال الذي يحتذى؛ فدارت الدراسات في فلكها على مدار ستة قرون لا تكاد تتزحزح عنه قيد أنملة، لكن مع بداية البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي من مصر إلى أوروبا ،مما أتاح للمبتعثين من العرب الاطلاع على الآداب الأوروبية وما حدث من تطور وتجديد في المناهج النقدية الأوروبية نتيجة للثورة على المناهج القديمة في أوروبا ،التي تتناول النصوص الإبداعية ومنها البلاغة ،تغيرت النظرة إلى البلاغة العربية القديمة، وبدأت الإشارة ممن اطلعوا على المناهج النقدية الجديدة في أوروبا إلى قصور البلاغة العربية القديمة، وذلك يعود إلى النظرة الجزئية التي تنظر منها إلى الآثار الأدبية.

لقد وصلت بعض مؤثرات تلك الثورة مع بداية القرن العشرين حيث وفدت إلى البلاد العربية تلك اللمحات التجديدية وتعدد المنادون بها ومع تعددها إلا أنها ظلت محدودة الأثر « ،و لعلّ أوّل دعوة لتجديد البلاغة العربية كانت من لدن الأديب السوري جبر ضومط (ت 1930 م) في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني و البيان) الذي أصدره سنة 1896 م , و فيه دعوة صريحة إلى نظرة بلاغية شمولية تهم النص الأدبي بدل الاقتصار على بلاغة الجملة ، ثم ألف كتابا آخر هو فلسفة البلاغة سنة 1898 م , بيّن فيه الطرق التي تساعد على جعل اللغة آلة لنقل الأفكار بطريقة سهلة مبنية على الاقتصاد على انتباه السامع» (لطروش ، 2016 : 107)

ولعل من العلامات الفارقة في تلك المحاولات التجديدية المبكرة محاولة أحمد الشايب في كتابه « الأسلوب « ،لقد نظر إلى النتاج الأدبي على أنه كل متكامل أي أسلوب فتجاوز بنظرته هذه من سبقه من المجددين ورأى أن هناك مناهج نقدية وبلاغية جديدة وجديرة بالدراسة والتطبيق، وذلك في كتابه الذي ألّفه في وقت مبكر من القرن العشرين وتحديدا في عام1939 م، حيث أشار في مقدمته وتحديدا في مقدمتي الطبعتين الأولى والرابعة إلى طبيعة تلك المناهج، فدعا إلى الانفتاح على المناهج الأوروبية وما طرأ عليها من تغيير لمواكبة التجديد عندهم وعند العرب، وبخاصة بعد أن أصبحت البلاغة القديمة قاصرة عن الإحاطة بالأدب العربي، الذي أخذت تتسع مشاربه فضلا عن قصورها عن الإحاطة بالأدب العربي القديم «ويقوم هذا المنهج على ملاحظة أنّ الدراسة النظرية للبلاغة العربية انتهت عند المتقدمين إلى علوم المعاني والبيان والبديع ،يدرسون في الأول الجملة منفصلة أو متصلة ،ويدرسون في الأخيرين الصورة البسيطة أو المركبة من تشبيه ومجاز وكناية ،وحسن تعليل مع توابع أخرى في علم البديع وهذه الدراسات على خطرها لا تستوعب

أصول البلاغة كما يجب أن تكون، لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه» (الشايب ،1991 : 3،4)

ومن هذا المنطلق جاء عرضه لمادة كتابه بطريقة جديدة لقد حمل الكتاب دعوة تجديدية ،سواء من حيث طريقة العرض أم من حيث الدعوة الصريحة لجيل الشباب أن يتصدوا لهذه الدعوة التجديدية التي دعا إليها مبكراً ،ونبعت من إحساس بقصور البلاغة التقليدية عن مسايرة أصناف الإبداع الأدبي ،ولكن هذه المحاولة على أهميتها ظلت محاولة لم تشهد تطورا فعليا.

وتتالت دعوات التجديد ومن أهمها دعوة أمين الخولي «و يرى النقاد أن الخولي خطا في هذا الكتاب بالبلاغة العربية خطوة تالية لخطوات السابقين، فقد درس الصلة بين البلاغة و الفنون الجمالية الأخرى ،و دعا إلى تنسيق العناصر الأدبية تنسيقاً يؤلف منها مجموعة متحدة متناسقة محاولا إقامة الدرس البلاغي على أساس وجداني ذوقي إذا فهي درجة من درجات التجديد بالالتفات إلى التذوق (السابق :108،109)

ولا تكاد محاولة دكتور شوقي ضيف تذكر في مجال التجديد ،فهي لم تتعد التأريخ الأدبي للبلاغة العربية ،البدايات والمؤلفات ، وإن شابتها بعض النصائح المنثورة بضرورة التجديد، فكتابه الذي يحمل عنوان «البلاغة تطور وتجديد « لم يشهد من التجديد سوى الدعوة وظل في مجمله تتبعاً لتطور البلاغة العربية من البذور والنشأة ، وحتى كتاب «المفتاح « و ما دار في فلكه، وقد جاءت هذه الدعوة في تعقيب جعله بعد خاتمة كتابه الذي أصدره عام 1965 م ،حيث دعا إلى تطوير البلاغة بما يتلاءم مع التطور الذي شهده الأدب العربي في العصر الحديث إذ يقول:» وهذا التطور الواسع لأدبنا في شكله و مضمونه و أساليبه و فنونه حريٌّ أن يقابله تطور في بلاغتنا بحيث تصور فنوننا الشعرية و النثرية و أساليبها المتنوعة , و بحيث تكون صورة صادقة لحياتنا الأدبية الحديثة . و ليس معنى ذلك أن نهمل تراثنا البلاغي القديم , إنما نهمل منه الأصداف العاطلة عن الدلالة و خاصة في فنون البديع ...» .(ضيف ، 1995 : 278)

المطلب الأول: محاولة عبد السلام المسدي :

مع ظهور المناهج النقدية الحديثة في النقد الغربي وعلى رأسها الأسلوبية ووصولها إلى ساحات النقد العربي،أخذت النقاشات تدور حول البلاغة وعلاقتها بالأسلوبية ومن الدراسات المبكرة في هذا الشأن دراسة عبد السلام المسدي، « الأسلوبية والأسلوب «التي صدرت طبعتها الأولى عام 1977 م وناقش فيه من ضمن ما ناقش العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبية الغربية؟

والكتاب يحمل نظرة ثاقبة إلى هذا الوافد الجديد، فهو يرى أن الأسلوبية اكتشفت منهجا مستحدثا ،تتناول به المادة تناولاً جديدا (المسدي ، 1982 : 6،7)

حيث أشار في أكثر من موضع من كتابه إلى تلك الآراء التي تقرر أنّ الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، ولكن من دون تسليم أو رفض، فهو يطرح نقاط الاتفاق والالتقاء، بموضوعية منطقية، ويقرر اتفاقهما في :

-القاعدة الأولية التي تخص الظاهرة اللغوية، فالبلاغة تلتقي مع الأسلوبية في التفكير الإنساني عامة ،وحدودها لا تستقيم إلا إذا سلمت بسعي الإنسان لإدراك التبليغ الأكمل ،بعد أن سلب القدرة على الكلام المعجز(السابق :37)

- بينهما تقاطع لا يستهان به فيما اصطلح على تسميته «مستويات التحليل الأسلوبي"، أو الجانب الإجرائي الذي تتفقان في مادته (اللغة) إذ تنطلق كل تلك المستويات من لغة النص مما يجعل من الأسلوبية وغيرها من اللسانيات «تمثل محورين متعامدين، طولاً وعرضاً ،ويأتي علم النحو ليحسم فيخرق حقول التداخل والتباعد ،ليصبح مركز ثقل يستقطب جاذبية الأسلوبية على نوع ما من التناظر «(السابق :53)

وبهذا فنحن أمام نوع من التساوي و التقارب، اتفاق في القاعدة الأولية التي تخص الظاهرة اللغوية، التي هي حصيلة نوعين من الضغوط هما:

-الاستجابة لضغط الدلالة وهذا عدته رصيد معجمي.

-الاستجابة لضغط الإبلاغ وهنا يبرز دور قوانين النحو، التي تنظم العلاقة بين مقاطع الكلام ،وهذا ما تقوم عليه الأسلوبية (السابق : 56)

-ولكن نقاط الاختلاف موجودة فعلا وهي تتجاوز العلم ومادته إلى محيطه وقد بلغت دراسة المسدي مبلغا من النضج في الجانب النظري جعلته يرصد مظاهر ذلك الاختلاف الذي تتضح في:

-المنطلقات: فالبلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، ويسعى إلى تعليم مادته، وموضوعه علم البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية ولا تسعى إلى غاية تعليمية (السابق : 52،53)

-الأهداف: البلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية، فهي تضع المقاييس قبل وجود العمل والأسلوبية تسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية، بعد أن يتقرر وجودها فهي تتجه اتجاهاً اختيارياً، فتنظر إلى الآثار من خلال وجودها، فالأثر الفني يعبِّر عن تجربة فنية معيشة فرديا في المقاربة الأسلوبية . (السابق : 53،54)

-التطبيق أو الإجراء: البلاغة تفصل بين الشكل والمضمون، في الخطاب اللساني، بينما تنأى الأسلوبية بنفسها عن الفصل بين الشكل والمضمون أي الدال والمدلول فهي تنفذ من خلال الدال، الشكل أي اللغة إلى المدلول . (السابق : 53)

و يتخذ المسدي في دراسته، موقفاً وسطاً بينهما وإن كان أميل إلى الأسلوبية منه إلى البلاغة التقليدية بوصفها ذات أصول معرفية راسخة، و أكثر قربا من العمل الإبداعي، كما أنه أخذ على بعض النقاد العرب، عدم الفصل بينهما مع محاولة إخضاع البلاغة للأسلوبية، وصرح في منطقية واضحة، أنّ البلاغة والأسلوبية وإن كانت مادتهما واحدة ،وأدواتهما كذلك، إلا أنه لا يصح أن تحل إحداهما محل الأخرى، فهما

تتقاطعان، ففي الأسلوبية ما ليس في البلاغة وفي البلاغة ما ليس في الأسلوبية، وغاية علم النص منهج متكامل (السابق:53-50)

المطلب الثاني: محاولة تمام حسان.

موقف عبد السلام المسدي لم يؤد إلى توقف الدعوات إلى وجود بلاغة جديدة تضاهي الأسلوبية الغربية، ومن تلك الدعوات التي تصدرت المشهد النقدي دعوة تمام حسان، وهي من المحاولات الرائدة المتزنة وجاءت في مقالة نشرها عام 1984 م بعنوان:» المصطلح البلاغي القديم، في ضوء البلاغة الحديثة «.

والعنوان يشير صراحة إلى الإحساس بإشكالية التجديد في البلاغة وقد حاول من خلال المقالة أن يجمع بين التراث والمعاصرة فيما أطلق عليه البلاغة الحديثة، وكأنه يستقي من التراث بلاغة حديثة يريدها أن تكون بديلاً عن البلاغة القديمة وفي الوقت نفسه مواكبة للمناهج البلاغية الوافدة، فعرض البدايات الأولى للبلاغة العربية فكانت على» يد المشتغلين بتحديد الفصاحة، وأصحاب القول في إعجاز القرآن الكريم ،والمشتغلين بالمجاز في القرآن الكريم ،والمعتنين بقواعد الشعر، وأصحاب الأما لي وبعض الموسوعيين من أعلام الأدب وأصحاب القول في البديع « (حسان ، 2006 : 141/2)

إذا فأصول البلاغة عنده شاملة عامة لا يتفلت منها أصل من أصول علوم العربية، ولكنه عندما يتحدث عن منهجها لا يخلو حديثه من لهجة منتقدة، لمنهج البلاغة الذي لا يتعدى النص ولا يبيح الخروج على القواعد ،مما جعلها» منهجا تعليميا معياريا ،لا علميا وصفيا « (السابق : 142)

وهذا الانتقاد يتضح أكثر في حديثه عن الدراسات اللغوية الحديثة وربطها اللغة بالعلوم الإنسانية، مما هيأ لظهور دراسات أسلوبية تختلف تماما عن معيارية البلاغة القديمة، حيث تبنى نتائجها على دراسة الوقائع الأسلوبية في النص، ومن هنا أعطاها استحقاق أن تسمى «البلاغة الحديثة « (السابق: 142) وهو لا ينادي بأن تكون وريثة للبلاغة القديمة، وإنما يرى أن تكون علماً جديداً صالحاً لدراسة الأسلوب وأطلق عليها البلاغة الحديثة.

وبعد أن عرض لحدود علم الأسلوب الحديث استعرض المصطلحات البلاغية المعروفة من الفصاحة والبلاغة وأقسام البلاغة، فقام بعرض النشأة والمفهوم وبعض التطبيقات الموافقة لما يرمي إليه من الإشارة إلى القاعدة المشتركة بين البلاغة وعلم الأسلوب . (السابق:154،155)

ومن ذلك عرضه فكرة الانحراف في علم الأسلوب، أو التوسع أو الترخص أو الضرورة، والعدول ومراعاة حال المخاطب عند علماء البلاغة، وهكذا يمضي إلى عرض المصطلحات رابطا بينها، وبين تقنيات الأسلوبية ،(السابق: 160،161)

وفي آخر المقال يصرح بالبعد بين البلاغة والأسلوبية، عندما يعقب على بيت المتنبي:

ويمشي به العكاز في الدير تائباً وقد كان يأتي مشي أشقر أجردا (المتنبي ،2007 :294)

« فعناصر الصورة، هي ملك الروم والعكاز والمشي و الدير و التوبة، التي تدل على ضعف بعد قوة... ولما كان الإيقاع والتنغيم والتصوير مسرحاً محتملاً للاختيار والانحراف، كان على البلاغة أن تتأمل تأثير هذه الأمور، حين تتحول إلى مؤشرات أسلوبية، ولكن البلاغة عربية وغير عربية لم تصادف دراسة علمية حاضرة لهذه الحقول « . (حسان :181)

وكما اتضح من بداية المقال فما يصلح لدراسة النص هو علم الأسلوب أو البلاغة الحديثة، وهي من وجهة نظره البديل النموذجي للبلاغة القديمة، لمقاربة النصوص وقد تتبع ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح البلاغة الحديثة في التراث البلاغي القديم .

المطلب الثالث: محاولة حمادي صمود.

تعد رؤية حمادي صمود من المحاولات التأصيلية لإيجاد بلاغة جديدة تحتوي القديم وتضيف إليه متجاوزة نواقصه وعيوبه، وتلك المحاولة رؤية رائدة لهذا التجديد، حملت وعيا بالإشكالية القائمة ،فقد تنبه إلى أن كل المحاولات السابقة اهتمت بدراسة التراث البلاغي تاريخيا دون النظر إلى التطور الذي وصلت إليه البلاغة في الغرب ،لذلك توجهت دراسته هذه إلى التطور التاريخي للأفكار البلاغية إلى جانب الرصد التاريخي للمؤلفات وما فيها من قضايا مطروحة، دراسة تؤسس للانطلاق لوضع منهج جديد لدراسة الأدب، وذلك لقصور البلاغة عن دراسته ،في عصر شهد تطور العلوم ومنها علم النص على حد تعبيره، فالمؤلفات البلاغية قبله «غاب عنها ما يعرف بجدلية التراث والحداثة فكان تصديها لدراسة التفكير البلاغي في الغالب من منظور أحادي البعد،لا يرتقي إلى مستوى النقاش الجوهري المطروح في أغلب التيارات النقدية الحديثة ،والدائر حول إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات أو عدم إمكانية ذلك، وبالتالي الإقرار بموت البلاغة وقيام الأسلوبية بديلا عنها.»(صمود ،1981 : 11)

ومن هنا جاءت قراءته للتراث، من منطلق التفاعل بينه وبن الحداثة، قصد فهمه، ومقاربته لمظاهر المعاصرة وهو- كما يرى- أمر محفوف بالمخاطر فالمعاصرة التي يحاول الاقتراب منها تختلف في «منابتها وتياراتها الأيديلوجية عما هو في البلاغة العربية « (السابق :ص11)

وهذا ما يمكن أن يسمى منطلقات، فمنطلقات الأسلوبية المعاصرة اللغة ثم اللغة ،أما البلاغة فمنطلقاتها إرث غزير من اللفظ والمعنى وما يندرج تحتهما من العلاقات ،لذلك «فكل تراث له خصوصيته ومن هنا يجب التزام الحذر عند الحديث في العلاقة بينهما» (السابق :12)

والكتاب بهذا التصور رؤية شاملة عميقة فاحصة ،لمؤلفات البلاغة القديمة، رؤية واعية تتجاوز التأريخ للتأليف البلاغي، إلى تاريخ البلاغة وتطور قضاياها فيسلط الضوء على المؤلفات البلاغية، ويلتقط منها

ما يتقاطع مع المناهج الحديثة، فهو مثلا عند حديثه عن نص من كتاب الكامل يتحدث فيه المبرد عن التشبيه فيتعمق في تحليله ،وينفذ إلى عمق لم يسبق إليه وفيه تتبدى الوحدة المعنوية للتشبيه مع تعدد الدلالات للتشبيه الواحد مما يتيح تعدد طرائق الفهم ويطلق على هذا الأمر مصطلح المُعنَم وهو بعد أن ينقله يعقب عليه بقوله : « والمتتبع للحركة اللغوية المعاصرة ،يلاحظ أن فكرة «المعنم «كانت من أهم مكتسبات علم المعاني البنيوي، لأنه مدّ الباحثين بمفهوم إجرائي، يسمح بتدارك المسافة الفاصلة، بين علم المعاني ،وعلم الأصوات، ووظائف الأصوات التي اهتدت منذ وقت مبكر إلى الأجزاء المكونة للكلمة انطلاقاً من السمة المميزة، وقد تبنت حركات الإحياء البلاغي في أوروبا هذه المفاهيم وفي الكامل من هذه الشيء الكثير « (السابق :364،365)

لقد أحاط حمادي صمود بالمؤلفات البلاغية القديمة إحاطة جعلت دراسته تتعمق نقاط الالتقاء بين البلاغة والأسلوبية ، فتلتقط تلك الإشارات وتسلط الضوء عليها الأمر الذي جعل من دراسته مرتكزا للدراسات التي تلته فكانت من اللبنات التي وضعت في صرح البلاغة الجديدة .

المطلب الرابع: محاولتا شكري عياد ومحمد عبد المطلب.

هذا المطلب جمع بين محاولتين متشابهتين وهما محاولتان عجولتان لم تتأنيا في الوقوف عند نقاط الالتقاء و الاختلاف بين البلاغة و الأسلوبية ،كما لم تتعدّيا التقديم لبعض النصوص التي تناولاها بالتحليل الأسلوبي و منها ما كان موجها لطلاب المرحلة الجامعية .

الأولى :محاولة شكري عياد ففي بدايات العقد الأخير من القرن العشرين تأتي دراسة شكري عياد وهي دراسة عابرة لم تتتبع نقاط التقارب والتباعد بعمق وإنما حاول في عجالة الربط بين البلاغة والأسلوبية من حيث الهدف أو الغاية ، فالأسلوبية تسعى لتقديم صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وهذا نفسه ما يصفه علم البلاغة وقبل ذلك أشار إلى ما يعرف بمقتضى الحال (الموقف)، ولكنه عاد ليفرق بينهما وفي عجالة أيضا . (عياد ،1993 :43)

الأخرى: محاولة محمد عبد المطلب، وفيها حاول أن يتلمس بعض تقنيات الأسلوبية في التراث البلاغي العربي، وبخاصة عند عبد القاهر الجرجاني، فأخذ يلاحق مستوياتها من خلال نظرية النظم، وكذلك عند السكاكي من خلال علم المعاني، وما فيه من عناية بالمتلقي، وتنوع طرائق إلقاء المعنى بأشكال مختلفة. (عبد المطلب ،1994 :258)

المطلب الخامس: محاولة محمد العمري.

أما تجربة العمري فتجربة عميقة متفردة و يأتي تفردها من تنوعها فقد بدأت بالترجمة المتفحصة لكتاب «البلاغة والأسلوبية» ل»هنريش بيليت «ثم من تأليفه لكتاب «البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها « وبعد ذلك مؤلفه «البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول».

و في تقديمه لترجمة كتاب « البلاغة والأسلوبية «وهي ترجمة نُشرت عام 1999م ولكن في أصلها الفرنسي نُشرت عام 1981م ظهر ميله لما ينادي به مؤلف الكتاب من حديث عن البلاغة الغربية القديمة، حيث وقف منها موقفا محايدا، فعارضها وقاربها بالأسلوبية ثم حاول أن ينفي منها مالا يتوافق مع الأسلوبية التي استمد عناصرها من البلاغة الغربية القديمة، مع محاولة لجمع المتفرق، ودمج المجزأ ليخرج بنموذج هو أقرب إلى علم النص ،حيث يتحدث عن ذلك فيقول:» فالبلاغة التي يسهم المؤلف في بنائها هي علم النص بمعناه الحديث « (بيليت ،1999 : 16)

وهذا ما عبّر عنه فان ديك بقوله :» إن علم النص بناء على ذلك يلتقي مع البلاغة، ويمكن القول :بأنه أصبح ممثلا معاصرا لها» (السابق : 16)

وبهذا المعنى فالبلاغة عنده لا تقف عاجزة أمام أي نص من النصوص القديمة والحديثة ،بل هي قادرة على مقاربتها وتلمس مواطن الإبداع فيها دون تسلط أو تعسف أو أحكام مسبقة (السابق : 23،24)

ثم يبين ملامح مؤلَّفه بقوله:»ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة، تستوعب إنجازات البلاغة القديمة، وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة، محاولة تجاوز جوانب النقص فيهما باقتراح نموذج سيميائي يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول (السابق :11)

وبذلك فالنموذج الذي استلهمه هنريش هو نموذج ش موريس الذي ميز فيه بين:

1.انزياح في التركيب (العلاقة بين البدائل)

2.انزياح في التداول (العلاقة بين الرسالة والمرسل والمتلقي).

3. انزياح في الدلالة (العلاقة بين الدليل والواقع) (السابق: 13،14)

وهو النموذج الذي قدمه هنريش بيليت بديلا عن البلاغة القديمة، وميزته أنه:

-يستوعب جميع صور البلاغة المعروفة.

-يتيح فرصة الكشف عن صور جديدة.

-البعد التداولي له يبعده عن انتقادات عدم الملاءمة وعدم الاستيعاب اللذين أخذا على الشعرية البنيوية (السابق : 14،15) ثم جاءت تجربة العمري الخاصة ، في دراسته التي بعنوان :»البلاغة العربية أصولها وامتداداتها «.

وكانت أكثر وعياً بالمشكلة القائمة بين القديم والجديد في البلاغة وقد ذكر أن ما دعاه إلى التأليف:

-داعٍ عام واقعي تاريخي، يتصل بقلة ما أنجز من دراسات في هذا المجال، وأنّ ما أنجز في مجال تاريخ البلاغة بالتحديد دراسات جزئية تتناول ظواهر أو قضايا ولكنها مجزأة، وتحتاج إلى جمع في قاعدة تمثل بناء يلم شتاتها . (العمري ،1999 :7)

-أما الداعي الخاص القرائي، فهو منهاجي صرف «ذلك أن تغير المعطيات التي نمتلكها والإمكانيات التي نسخرها، وتغير الأسئلة المطروحة على الأدب، يجعل من اللازم إعادة الكتابة كلما تغيرت شروط القراءة وظروفها « (السابق:7)

وهما إيماءة ألقاها في مقدمة كتابه بنى عليها غرض الدراسة، رام منه أهدافا يحققها، وفيما يبدو هي أغراض الأسلوبية ذاتها، وهذا العرض جمع فيه أطراف المشاريع والمنجزات البلاغية والنقدية التي رأى وجوب تكاملها، لتكون قادرة على القيام بمهمتها الجديدة وهي: بديلة الأسلوبية.

لقد حاول من خلال عرض محايد للمؤلفات البلاغية القديمة، بيان ميزاتها ،وما شرعت فيه ،وما أنجزته فعليا ،حتى يصل في ختام الكتاب إلى ما أطلق عليه البلاغة المعضودة بالمنطق والنحو ،وأشار إلى أنّ لفظ (معضودة) هو لفظ حازم القرطاجني (القرطاجني ،2008م : 263) ،حيث جاء في نهاية كتابه، وهنا تلمح محاولة من العمري ،لجعل كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) بما اختزنه من مرجعيات ،مشروعاً متكاملاً لبلاغة جديدة تضاهي الأسلوبية، مشروعا طمح إليه في بداية كتابه، فقد حاول إيجاد القسم الأول من كتاب المنهاج ، وكأنه بهذا الصنيع يتوقف عند تجربة هنريش بليث، التي سبق وترجمها وطرحها وقدم لها يؤازره في ذلك قناعة « بأن البلاغة العربية، وسع بكثير من هذا اللباس الضيق الذي حشرناها فيه عندما حكّمنا فيه قراءة واحدة هي قراءة السكاكي ثم المراغي « (السابق :6)

لقد برر تجاهل حازم القرطاجني ابن رشد والجرجاني بأن هدفه :»استنباط قوانين كلية، تستوعب الشعرية في الشعر العربي ،ولهذا لا ينبغي أن نطلب لديه الخوض في التفاصيل الجزئية « (السابق :499)

كما انحاز للتراث ولكن وفق رؤيته الخاصة «إن عمل اللغويين القدماء الذين ألفوا في مجال مجاز القرآن ،وضرورة الشعر داخل إطار التوسع في اللغة ،يلتقي مع عمل الشعريين والأسلوبيين المحدثين ،في قيامه على استكشاف مالم يستوعبه النحو وما لم تستوعبه المعايير المنطقية الصغرى « (السابق : 22)

ومن هنا أشاد العمري بالسبق البلاغي الذي حققه عبد القاهر الجرجاني في مجالات عدة من خلال كتابيه :الدلائل والأسرار، حيث تجاوز زمنه، إلى الزمن الحاضر بتحليله وتفسيره الذي تخطى فيه مستوى المفردة والجملة إلى مستوى النص . (السابق: 31 ،32)

وعندما تحدث عن مشروع السكاكي عارضا تناوله المتعمق للصور البلاغية، ووعيه المبكر بما حول النص قال :»الأدب يساوي عنده في نظرنا ،الخطاب السليم الناجع ،من هذا المفهوم يتحدث السكاكي عن علم الأدب ،الذي نراه تصورا مبكراً لما يسمى حالياً علم النص»(السابق :481)

كما ترددت عند العمري مصطلحات علم الأسلوب من مثل العدول والانحراف والانزياح وذلك أثناء حديثه عن المحاولات المبكرة لبناء بلاغة عامة مشيراً إلى أن عمل الأسلوبيين كان مقصوداً موجهاً وكان لكل مصطلح معناه الواضح المحدد الأبعاد، أما القدماء فقد كانت تلك المصطلحات لا تزال في طور الاتساع اللغوي

وإن بدت مؤلفاتهم غنية بما يمكن أن يقارب علم الأسوب الحديث. (السابق)

ومع كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول تبرز عبارة « المجاز المكون الجوهري للبلاغة» (العمري ،2012: 6) حيث ناقش قضية المجاز وعلاقته بالاتساع ولم يتكلف التوفيق بين وجهات النظر المتعارضة بل تركها تعبّر عن نفسها دون بتر أو تكييف، والكتاب سعي حثيث لبناء نموذج بلاغي حي يتفاعل فيه القديم والجديد والنموذج الذي ارتضاه هو «البلاغة الجديدة» أي المدارس اللسانية الحداثية ، كالحجاج والخطابية و... غيرها» (السابق :7،8)

وكأنه بذلك يترجم فكرة أن البلاغة الجديدة هي البلاغة القائمة على المجاز بمعناه الواسع «الاتساع» ،الذي يتكيف بحسب النص الذي يقاربه فيصفه دون أن يصدر عليه حكما بالجودة أو الرداءة ،وهو بهذا المفهوم يعد مرادفا للأسلوبية في أرقى صورها ،و ليس له صفة محدودة تقيده ،وإنما هو تجاوز على مستويات عدة هي مستويات الأسلوبية اللسانية.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1.محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية شكّلت إدراكا لضرورة الخروج من بوتقة القديم والانطلاق في رحاب الدراسات اللسانية الحديثة بما تحمله من إمكانيات متطورة في مقاربة النص.

2.البلاغة الجديدة أو الحديثة اسم تداوله نقاد هذا العصر في محاولة التقريب بين البلاغة العربية القديمة «بلاغة السكاكي ومن سبقه « وبين الأسلوبية، بوصفها علما جديدا انفتحت عليه الثقافة العربية في منتصف القرن العشرين تقريبا.

3.محاولات التقريب تلك، بدأت بالدعوة إلى تطوير الدرس البلاغي، ثم تلتها أخرى بقراءة للتراث البلاغي العربي، قراءة مستكشفة، فاحصة ممعنة ومقربة بينه وبين الأسلوبية ،عن طريق تلمس ما يمكن أن يكون رابطا بينهما.

4.البلاغة الجديدة والأسلوبية تتقاطعان وتختلفان في الوقت نفسه ،فمادتهما واحدة وكذلك أدواتهما، لكن منطلقاتهما وأهدافهما مختلفة ،فبذور الأسلوبية مبثوثة في التراث اللغوي والنقدي عند العرب، هذا التراث الذي استند عليه البلاغيون قديما وحديثا.

المصادر والمراجع

أولا الكتب:

1.بيليت ،هنريش ،البلاغة والأسلوبية ،نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،ترجمة وتقديم وتعليق :محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1999 م

2.حسان، تمام، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مقالات في اللغة والأدب، ج2،عالم الكتب ،القاهرة ،2006 .

3.الشايب، أحمد، الأسلوب، «دراسة بلاغية تحليلية لأصول الدراسة الأدبية «، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثامنة،1991 م .

4.صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،1981 م.

5.ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة ،1995 م.

6.عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية، بيروت، الجيزة ،1994 م.

7.العمري، محمد وقيدي، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،مكتبة الأدب المغربي، أفريقيا الشرق، المغرب،2012 م.

8.البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،1999 م .

9.عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة، الجيزة ،1993 م.

10.القرطاجني، حازم ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس ،2008.

11.المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، الديوان، تحقيق: إسماعيل العقباوي، دار الحرم للتراث، القاهرة ،2007.

12. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة،1982م.

ثانيا : المقالات

1.لطروش، الشارف، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 16،2016 م .